الخليج

كتب و كتاب

1 أكتوبر 2021 22:58 مساء

فقدان السيطرة





عن المؤلف



بول روجرز
.«بول روجرز أستاذ فخري لدراسات السلام بجامعة برادفورد ومستشار الأمن الدولي لمنظمة «أوبين ديموكراسي

مع توسع نطاق الحرب على الإرهاب، عملت الحكومات على تعزيز الأمن في مجتمعاتها، وخاصة الغربية منها؛ حيث سعت لإدخال نماذج أمنية جديدة في وجه التهديدات المحتملة. يدعو بول روجرز في هذا الكتاب إلى إعادة التفكير جذرياً في التصورات الغربية للأمن، ويقدم أفكاراً لتحسين حياة المهمشين، وتوزيع الثروة على نحو أفضل مع ضرورة .التحلي بالإرادة

فاجأت الهجمات التي وقعت في نيويورك وواشنطن يوم 11 سبتمبر/ أيلول 2001 العالم بأجمعه. لقد أظهرت هذه الهجمات لأولئك الذين يعيشون في الغرب أن التهديد بشن هجوم إرهابي أصبح الآن حقيقياً للغاية. أصبح الحفاظ على .الأمن العالمي مسألة ذات أهمية قصوى لجميع الحكومات الغربية

يدعو بول روجرز في هذا الكتاب الصادر عن دار «بلوتو برس» بالإنجليزية في طبعة رابعة محدثة ضمن 208 صفحات، إلى إعادة التفكير جذرياً في التصورات الغربية للأمن، والتي تتبنى الاستعداد لمعالجة القضايا الأساسية لانعدام الأمن العالمي. يحاول هذا الكتاب تقديم صورة كاملة عن الأزمة الحالية، ومعالجة المشكلات المحددة التي

.نشأت منذ الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاجون

يعتمد المؤلف على أمثلة من جميع أنحاء العالم، ويحلل بقايا أسلحة الدمار الشامل من الحرب الباردة، وكيفية تأثير النشاط البشري على النظام البيئي العالمي؛ نمو الرأسمالية المفرطة وما ينتج عنها من فقر وانعدام الأمن؛ التنافس على .موارد الطاقة والمعادن الاستراتيجية؛ برامج الحرب البيولوجية، والأعمال شبه العسكرية ضد مراكز القوة

يناقش هذا الكتاب ثلاث نقاط، هي، أولاً: العوامل التي من المرجح أن تؤثر في تطور الصراع في العقود القادمة، وهي الانقسام الاجتماعي والاقتصادي والقيود البيئية وانتشار التقنيات العسكرية، وليس أقلها أسلحة الدمار الشامل. ثانياً، من المحتمل أن يؤدي ذلك إلى نزاعات تنطوي على إجراءات معادية للنخبة من داخل الأغلبية المهمشة، وزيادة سريعة في ضغوط الهجرة والصراع فيما يتعلق بالعوامل البيئية، لا سيما الموارد الاستراتيجية وتغير المناخ، كل ذلك في سياق الدول ذات الترتيب المتوسط غير الراغبة في قبول الهيمنة الغربية. أخيراً، التصور الغربي بأن الوضع الراهن يمكن .الحفاظ عليه

.يتألف الكتاب بعد المقدمة من عشرة أقسام هي: 1) سلام عنيف. 2) التعلم من الحرب الباردة. 3) ترويض الغابة

نموذج أمني مختلف. 5) فقدان السيطرة. 6) الترويج للحرب 7) حرب الثلاثين عاماً. 8) «داعش» وما بعد. 9) العقد (4 .الضائع. 10) المستقبل ممكن

التدهور البيئي والفقر

يشير الكاتب بداية إلى أنه في أوائل التسعينات، برزت قضية تغير المناخ كتحد رئيسي، ولكن في ذلك الوقت بدا أن معظم الأدلة تظهر أن البلدان الواقعة في خطوط العرض المعتدلة ستكون الأكثر تضرراً، مع تجنب المناطق المدارية وشبه الاستوائية من التأثير الأسوأ. وهذا يعني على الأقل أن الثروة والموارد قد تكون في وضع جيد لمواجهة التحدي. وفي الوقت عينه، هذا لا يعني أنه يمكن تجاهل التحديات البيئية في بلدان الجنوب العالمي، لا سيما عندما تقترن تلك التحديات بالعديد من مشاكل الفقر والتهميش. وفي هذا السياق، عُقد مؤتمر بعد بضع سنوات في دكا حول الروابط بين التدهور البيئي والفقر، نظمته منظمة غير حكومية في بنجلاديش وبتمويل من البنك الدولي. وقد جمعت بين خبراء من أنحاء كثيرة من العالم، وكما هو الحال عادة في مثل هذه الاجتماعات، فقد عُقدت في فندق دولي. تم بناء هذا الفندق المجهز تجهيزاً جيداً في جزء منعزل من المدينة قبل بضع سنوات، ولكن النمو الهائل في دكا في الثمانينات وأوائل التسعينات يعني أنه أصبح الآن محاطاً ببلدة مكونة من أكواخ كبيرة مزدحمة بالأشخاص الذين أتوا من الريف بحثاً عن عمل. كان الفقر مدقعاً، ولا تتوفر الكثير من المياه العذبة، والمجاري المفتوحة، وتنتشر الفئران في كل مكان، وبنيت العديد من المساكن على عجل؛ بحيث قد تتعرض لفيضانات متكررة خلال الرياح الموسمية. في وسط هذا الفندق حدائق استوائية معتنى بها، إلى جانب بركة سباحة كبيرة إلى جانب كراسي الاستلقاء للتشمس وساونا ومركز للياقة البدنية. كان المجمع بأكمله محاطاً بسياج عالٍ وأسلاك شائكة، بمدخل واحد فقط، يحميه حراس مسلحون. حضر مندوبو المؤتمر من المطار في سيارات الأجرة أو حافلة الفندق، ومكثوا هناك طيلة مدة المؤتمر، ناقشوا بجدية الفقر والبيئة، ثم غادروا. لا يوجد أي ازدراء تجاه البنك الدولي، على الأقل في هذه المناسبة. بذل المنظمون البنجلاديشيون قصارى جهدهم لإنهاء المؤتمر، مع بعض الأوراق البحثية القوية من الباحثين المحليين الذين عملوا بين سكان الأكواخ. علاوة على ذلك، جادل العديد من المشاركين من بنجلاديش وخارجها بقوة وفاعلية بأن «مشاكل الفقر داخل البلاد تنشأ عن عبء الديون والصعوبات التجارية الدائمة أكثر بكثير من الفساد الداخلي وسوء الإدارة، على الرغم من أن ذلك كان

.«خطراً

ويذكر أيضاً: من المؤكد أنه لم يكن هناك القليل من السخرية في مناقشة الفقر في مثل هذه البيئة، ولكن ظروف هذا الفندق يمكن أن تتكرر في جميع أنحاء العالم. على مدى نصف قرن أو أكثر، ازدادت رحلات العمل والسياحة عبر القارات بمعدل ملحوظ. لم يفكر الكثير من الناس في الانتقال من ريو إلى كيب تاون أو من دلهي إلى بانكوك للعمل، أو زيارة حدائق الألعاب في زيمبابوي وتنزانيا وجنوب إفريقيا أو شواطئ جوا وتايلاند وكينيا وغامبيا. كانوا يعيشون خلال رحلاتهم في شرنقة دائمة تقريباً، محمية بعناية من الحياة الحقيقية للأغلبية العظمى من الناس من حولهم. كان السائحون يقيمون في فنادق شاهقة على واجهات بحرية مذهلة، ويسافرون بالحافلات إلى الجبال ومتنزهات الألعاب. كانوا يزورون المحال التجارية الباهظة الثمن والعصرية في وسط المدينة على بعد بضعة من الأبنية فقط من الفندق، لكنهم لا يستطيعون المشي هناك بعد حلول الظلام، في الواقع لن ينصحهم أحد بالمشي في أي مكان بعد حلول الظلام، .ولن يروا بالتأكيد مدن الصفيح الضخمة الموجودة كسمة من سمات العديد من المدن في جميع أنحاء العالم

تحسين حياة المهمشين

يرى المؤلف أن النخبة في العالم نمت من حيث الحجم والثروة على مدار نصف قرن، وعلى الرغم من فيروس كورونا المستجد، أصبحت هذه النخبة تتنقل بشكل كما لم يحدث من قبل، غير مدركة للعالم الحقيقي، لا يعني أن هذا التهميش يقتصر على بلدان الجنوب العالمي. خلال تلك الفترة نفسها، نما التهميش بشكل مثير للقلق في العديد من بلدان الشمال، وتسارعت وتيرته في أعقاب الأزمة المالية لعام 2008، ومؤخراً بسبب كوفيد-19؛ حيث احتاج شخص من كل عشرة أشخاص، في منتصف عام 2020 في بريطانيا، إلى دعم من بنوك الغذاء الطوعية. ازداد حجم التهميش، إلى جانب زيادة قلق الأشخاص الأفضل حالاً على أمنهم الشخصي، كما يتضح من نمو المجتمعات المسورة وقوات الأمن الخاصة في جميع أنحاء العالم. خذ على سبيل المثال حالة هيريتدج بارك في جنوب إفريقيا. فهذه الدولة مثل العديد من البلدان تعاني انقسامات عميقة بشكل خاص بين الثروة والفقر، ومشكلات إجرامية خطرة، لا سيما في المدن والبلدات .الرئيسية

ويضيف: ربما تعمل الحكومة على تحسين الظروف الأساسية للأغلبية المهمشة، لكنها تثبت أنها مهمة ضخمة. وفي الوقت نفسه، فإن النخب الأكثر ثراءً في البلاد، ومعظمهم من البيض، يأخذون الأمن الشخصي على محمل الجد. يعيش الكثيرون في مجتمعات أو شقق مسورة يحميها حراس الأمن، ويهربون من المدن من أجل أمن الضواحي في نهاية كل يوم عمل. ربما كان أحد التطورات في جنوب إفريقيا يأخذ هذا الأمر إلى نهايته المنطقية، وكان في بعض النواحي، سابقاً لعصره. عندما تم التخطيط لهيريتدج بارك قبل 30 عاماً في مستوطنة كيب في سومرسيت ويست، كان يُنظر إليه على أنه مجتمع مكتفٍ ذاتياً تقريباً للأثرياء، وهو محاط ومحمي بسياج مكهرب هائل. عند اكتماله، كان من المفروض أن يحتوي الموقع الذي تبلغ مساحته 500 فدان على نحو 2000 منزل جذاب عالي الكُلفة تحيط بها حديقة مركزية تبلغ مساحتها 50 فداناً، بها بحيرات وغابات ومحمية للطيور. ستكون الممرات المائية ومسارات الركض ومسار الخيول وملعب الأطفال وملعب للترفيه وملعب رياضي وقاعة رياضية داخل السياج المحيط، وكذلك الكنيسة وحتى قرية خضراء. سيضم المجتمع أيضاً متاجر ومدارس ومطاعم إضافة إلى فندق ومسرح ومجمع أعمال صغير وصناعات خفيفة. سيكون الدخول إلى الحديقة عن طريق تصريح من خلال أحد المداخل الأمنية الأربعة، وسيكون لها قوة شرطة خاصة بها مكونة من 40 شخصاً لتوفير الحماية من الخارج بشكل أساسي؛ لذلك لم يكن من المتوقع أن تكون الجريمة مشكلة خطرة داخل السياج؛ حيث سيتم معاينتها بواسطة الأشجار والشجيرات لجعل الرؤية من الداخل صعبة، على

الرغم من أن السكان يتوقعون مشاهدة مناظر رائعة للجبال البعيدة. نظراً لتوفر مرافق التعليم والعمل والترفيه، كان من المتوقع أن يقضي معظم السكان الأغلبية العظمى من وقتهم داخل السياج، ونادراً ما يضطرون إلى الخروج منه. في غضون عقد من الزمان، كان هيريتدج بارك جاهزاً للعمل مع أول 650 منزلاً مكتملاً، إلى جانب كنيستين ومدرستين وسياج أمني بقوة 35000 فولت، وكان يحقق هدف المطور الأصلي، جورج هازلدن، عندما كتب، «لقد أخذنا ورقة أو اثنتين من ماضي القرون الوسطى ووضعناها في مستقبلنا. على وجه الدقة، لقد سرقنا مفهوم تحصين المدينة بأكملها لإنشاء دولة خالية من الجريمة».

في حين أن نية المطورين كانت فتح المشروع لجميع من يستطيعون العيش هناك، في نهاية ذلك العقد الأول كان خمسة سود فقط من بين أول 1500 مقيم. صحيح أن المطورين أيضاً طوروا برنامجاً للتواصل في البلدات المحلية لتوفير العمل، وقاموا ببناء بلدة صغيرة ل 200 عائلة سوداء وملونة داخل الحوزة ولكن خارج السياج، وتوقعوا يوماً إمكانية إزالة السياج. لكن هذا الأمل الأخير لم يتحقق وبقي السياج مع كل البوابات وغرف التحكم. في الواقع، تم تسجيل العديد من السكان أيضاً في شركات أمن الاستجابة المسلحة.

مواجهة التحديات وتوزيع الثروة

يرى المؤلف أن «هيريتدج بارك» مثال متقدم لطريقة العيش التي أصبحت أكثر شيوعاً بشكل تدريجي في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك في المملكة المتحدة. من ناحية ما، ليس شيئاً جديداً، من حيث إن أغنى وأقوى الناس عبر التاريخ وجدوا بشكل عام أنه من الضروري إيلاء اهتمام خاص لأمنهم وأمن ممتلكاتهم. الأمر الأكثر شيوعاً هو الطريقة التي أصبح بها أمن القطاعات الأكثر ثراءً في المجتمع ظاهرة رئيسية في جميع أنحاء العالم، ولكن بشكل خاص في الأماكن التي تعاني مشكلات في تقسيم الثروة.

ويذكر مثالاً آخر أكثر تطرفاً فيما يتعلق بالجانب الأمني وهو في ساو باولو بالبرازيل، ففي نفس الوقت الذي تم التخطيط فيه ل «هيريتدج بارك»، بدأ أغنى المواطنين بالتوجه إلى الطائرات من أجل سلامتهم بسبب سرقة السيارات، وخطف المديرين التنفيذيين، وأصبحت عمليات السطو على الطريق جزءاً من مخاطر الحياة اليومية لأي شخص يُعتقد أنه يمتلك المال؛ لذا فقد أدى الطلب على طائرات الهليكوبتر الخاصة في ساو باولو إلى تحويل المدينة إلى واحدة من أكثر الأسواق حيوية لتجار طائرات الهليكوبتر.

حفظ السلام العنيف

لمدة 45 عاماً، كان لدى الغرب مصدر قلق أمني أساسي واحد، وهو المواجهة مع الكتلة السوفييتية. كان الأمر واضحاً وسهل الفهم وبسيطاً للغاية «هم ضدنا». بعد عام 1990، أصبح العالم مكاناً غير آمن إلى حد كبير، مع وجود تهديدات متنوعة لرفاهية الغرب؛ بحيث أصبحت وظيفة الجيش الغربي تدريجياً هي «حفظ السلام العنيف»، والقدرة على نشر القوة العسكرية في أي مكان في العالم؛ حيث تأثرت المصالح الغربية، وهناك العديد من الأمثلة والأحداث التي أثبتت كيفية الدفاع عن المصالح والأمن بطرق مبتكرة في القرن الواحد والعشرين.

المسألة الأمنية تصبح من الأوليات للعديد من الحكومات الغربية وأصحاب المصالح في العالم، بسبب تزايد فجوات اللامساواة والفقر والتهميش والأزمات المعيشية المرتبطة بتغير المناخ، إلى جانب ظهور العديد من التنظيمات الإرهابية على مستوى كبير، وعلى الرغم من ذلك يجد مؤلف الكتاب أن المستقبل يحمل ظروفاً أفضل مع تحلي الحكومات

.بالإرادة لتعزيز التنمية في المجتمعات الفقيرة وتأمين فرص العمل للأجيال الشابة، وتعزيز حقوق الإنسان بشكل فعلي

ترجمة وعرض:

نضال إبراهيم

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©